

أثر الاستجابة لكارثة التسونامي على القدرات المحلية والوطنية

أرجونا باراكراما

هي أنه بعد الانطلاق على هذا النحو، تعجز الاستراتيجيات والعلاقات آنذ عن التطور بشكل أكثر إيجابية أثناء مرحلة الانتعاش.

بالإضافة إلى ذلك، تميل الوكالات الدولية إلى تقوية الهياكل والعمليات المركزية، وفي معظم الحالات، تمثل اهتمامها الرئيسي في ضمان الاتفاق مع السلطات القومية. ومن غير المرجح أن تعقد اتفاقات رسمية أو حتى غير رسمية على

اكتشف أكبر تقييم تم إجراؤه للاستجابة الإنسانية الدولية أن معظم الناجين تم إنقاذهم على يد أفراد المجتمعات المجاورة والتي كانت قد تضررت نفسها في أعقاب كارثة تسونامي في ديسمبر عام ٢٠٠٤. وقد اتسم التأثير بعدم الفعالية في ضوء التكاليف والجهود والزمن عندما تجنب المجتمع الدولي الاستجابة المحلية والقومية أو استغلها.

الغربية. وقد شجعت الطريقة التي تم بها تمويل القطاع الإنساني - بالاستجابات السريعة عقب النداءات العامة - التأكيد على تقديم الخدمات السريعة والمباغة في أهمية الوكالات والاستخفاف بدور السكان المحليين. وقد جعل مستوى التبرعات العامة العالمية الذي لم يسبق له مثيل قطاع المنظمات غير الحكومية العنصر الرئيسي الفاعل في الاستجابة الدولية لكارثة تسونامي، سواء من حيث مطلق حجم ميزانيات الدول أو من حيث المقارنة النسبية بالوكالات الثنائية ووكالات الأمم المتحدة.

ممارسة الضغوط لتحقيق النتائج

كان من الواجب أن يصاحب هذا الدور الجديد مسؤولية تقوية الشراكات مع السلطات المحلية والقومية والتكاتف مع الآخرين لخلق آليات رسمية جديدة للتعاون والمسؤولية. كما كان يمكن تناول المعلومات بشكل أكثر إستراتيجية بحيث يتمكن الأفراد المتضررون من تأكيد احتياجاتهم والإدلاء بأرائهم على قدم المساواة مع مقدمي المساعدات. بيد أن المنظمات غير الحكومية تباطت في التكيف مع هذا الواقع الجديد، وظلت تتحلّى بأسلوب تنافسي تحفزه الأهداف حتى وقت متأخر للغاية في الاستجابة. وتمت ممارسة ضغط قوي للحصول على 'النتائج' من مقر الوكالات الدولية. وثمره ميل حتى فيما بين الأفراد الميدانيين للتقليل من أهمية القدرات المحلية ومنح أهمية مبالغ فيها لتقديم المساعدات الخارجية. وتلك عملية تعيد تأكيد ذاتها، وتجاهل القدرات المحلية، تم جعل دور المساعدات الخارجية يبدو أهم من الأدوار الأخرى. وكلما زاد وجود المساعدات الخارجية، كلما تم إضعاف القدرات المحلية. لكن المشكلة

وقد أبرز تحالف تقييم تسونامي^١ التباين بين السياسات المعلنة للجهات الإنسانية الدولية المشاركة ووقائع العمليات في ضوء التنفيذ المباشر والارتباط بالقدرات المحلية ومشاركة المجتمع، كما أظهر هيمنة الحاجة الملحة لتقديم الخدمات عندما يتعرض نظام المساعدات للضغوط في حالات الأزمات.

وقد انعدمت المشاركة في المرحلة الأولى مع المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمعات المحلية. والعديد من هذه المنظمات لعب دوراً هاماً أثناء مرحلة البحث والإنقاذ لكن تم تهميشه أثناء عملية الإغاثة. وقد توترت العلاقات - أو ضعفت القدرات - عندما طلبت الوكالات التعاون معها في مرحلة الإنعاش. وأصبحت المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمعات المحلية منظمات متعاقدة وانتشر الفساد وبرزت مظاهر القيادة غير الملائمة بكثرة.

لكن ثمة جوانب معينة للاستجابة التي أضعفت القدرات المحلية تضمنت 'سرقة' العاملين من المنظمات الأخرى خاصة المنظمات غير الحكومية المحلية بالإضافة إلى المتطلبات المرهقة المتعلقة بإعداد التقارير. وقد تم التأكيد بطريقة مبالغة على السرعة وسجل الإنجاز الأمر الذي أدى إلى الاستخدام المبدد وغير الضروري للأفراد الأجانب، والذين كان لدى العديد منهم خبرة ضئيلة في هذا المجال وكانوا في وضع غير موات لمعالجة التركيبات الاجتماعية عالية التعقيد لتلك المجتمعات في المنطقة. ويعكس ذلك من الناحية الهيكلية الاستهانة بالقدرات المحلية التي تعاملت بوجه عام مع معظم المشكلات المباشرة.

وفي إطار النظام الإنساني، أظهرت كارثة تسونامي مشكلة 'الاستجابة الكبيرة' من قبل الشعوب



UNHCR/بشير

صياح يعود إلى البحر بعد التسونامي في نيبلافي، شمال ترونكوماي في سريلانكا

المستوى المحلي، لذلك لم يكن بمقدورها الإقرار أو الاستجابة لتفاعل السلطة الدقيق الذي أحاط بعملية الإغاثة.

وقد نزعت الوكالات الدولية إلى استغلال أية قدرات يمكنها العثور عليها في مرحلة الإغاثة وتفاجأت بعد ذلك بأن هذه القدرات المحلية لم تحول نفسها بطريقة مناسبة إلى أداة مناسبة من أدوات الانتعاش وإعادة الأعمار. وبدلاً من ذلك، تم إضعاف القدرات المحلية، وأصبحت قضايا التهميش وتقارير التقصي الاجتماعي أكثر تعقيداً وتمت عدم الثقة. ووجدت الوكالات نفسها تدعم الصقوة وعاجزة عن معالجة مشكلات المجموعات المهمشة.

إن تقوية القدرات ليست مجرد دعم للهياكل المؤسسية وإنما هي عملية سياسية بالغة التعقيد تتضمن تمكين الأشخاص الأكثر فقراً

نشرة الهجرة القسرية ٢٨

المجتمعات من تحسين وضعها بالنسبة للسلطات القومية والإقليمية

■ وضع الإجراءات المتعلقة بتقديم المنح لفترات زمنية أطول حتى من بداية التدخل

■ وضع البروتوكولات للحيلولة دون 'سرقه' العاملين' وضمان عدم إضعاف القدرات المحلية

■ دراسة متطلبات الإبلاغ دراسة نقدية

■ ضمان تمثيل المرأة في كافة هيئات صنع القرار التي تؤثر عليها.

يعمل أرجونا باراكراما (english@pdn.ac.lk) رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بجامعة بيرادينيا في سريلانكا، وقد تولى قيادة التقييم الذي أجراه تحالف تقييم تسونامي حول أثر الاستجابة لكارثة تسونامي على القدرات المحلية والقومية.

www.tsunami-evaluation.org/NR/rdonlyres/8E8FF268-51F0-١4367-A797-F031C0B51D21/0/capacities_final_report.pdf

الضعف إلا عندما يسيطرون على بيئتهم، وإلا أصبحوا عالة على استجابات الشعوب الغربية المتقلبة والتعويل عليها، أو بطريقة أخرى على المساعدات الدولية.

وهناك حاجة ماسة لإعادة النظر في الهدف المرجو من المساعدات الإنسانية والتحول من أسلوب تقديم الخدمات إلى إطار تمكين القدرات. وقد أبرز تحالف تقييم تسونامي حاجة الوكالات الإنسانية الدولية إلى:

■ الاشتراك مع القدرات المحلية والقومية ووضع استراتيجيات شراكة واضحة بالإضافة إلى تطوير عمليات الشراكة المحلية من البداية

■ إدراك أن عملية الإغاثة لا تتسم بالحياد من الناحية السياسية، حيث إن لها آثار بالغة على القضايا مثل حقوق الإنسان والمنظمات الاجتماعية والتمهيش وعدم الأهلية

■ الاهتمام بتقارير التقييم الاجتماعية والإبعاد والتسلسل الهرمي

■ العمل على تمكين المجموعات المهمشة من تحسين وضعها بالنسبة للمجتمعات، وتمكين

وإبعاداً بحيث عندما تحل الكارثة يحق لهم مطالبة مجتمعهم والمسؤولين المحليين والحكومة الوطنية بالقيام بواجبهم.

السياسة مقابل التطبيق

يلقي هذا التقييم الضوء على التباين بين السياسات المعلنة للعناصر الإنسانية الدولية الفاعلة وحقائق العمليات، حيث إن المبادئ تتسم بالشموخ لكن غالباً ما يكون التطبيق أمر مختلف للغاية. لذا تهيمن الحاجة الملحة لتقديم الخدمات عندما يتعرض نظام المساعدات للضغوط في حالات الأزمات ففي أوضاع مثل الاستجابة لكارثة تسونامي حيث تدفقت الموارد بشكل لم يسبق له مثيل، تمثل عامل النجاح الرئيسي في القدرة على إنفاق الأموال بأسلوب سريع وليس بحكمة.

إن إعادة التوجيه الجوهرى للقطاع الإنساني يعتبر ضرورياً لإدراك أن ملكية المساعدات الإنسانية تقع على عاتق أصحاب المصالح - وعلى سبيل المثال - وبأن القدرات المحلية تمثل نقطة الانطلاق وأن الحد من الأضرار الدائمة طويلة المدى هو الهدف وأن دور الأطراف الأخرى يتمثل في الدعم. لذلك، لن يتحرر الأفراد الضعفاء من



عمليات التنظيف في سريلانكا وجمع النفايات للدفن مباشرة بعد التسونامي في ديسمبر ٢٠٠٤.